الموسيقى القرطاجية في بلاد المغرب القديم (814ق.م-146ق.م)

تاريخ استلام المقال: 2017/10/05 تاريخ قبول المقال للنشر 2017/12/25

أ/ سقوان نجلاء

جامعة أحمد دراية-أدرار-

الملخص:

نقوم في هذا المقال بالكشف عن جانب مهم من التراث الثقافي المسكوت عنه والمغيب من الأبحاث المعتنية بالموسيقى المغاربية بشكل عام والموسيقى التونسية بشكل خاص، إذ تقتصر جل تلك الأبحاث على دراسة الثقافة الموسيقية في فترات تاريخية لا تتجاوز فترة حلول الإسلام بشمال إفريقيا، لكن حاولنا في هذا المقال تسليط الأضواء على الدور التي قامت به تونس في فترة التاريخ القديم وخصيصا في العهد القرطاجي في مجال الموسيقى بكل مقوماتها وخصوصياتها ورصد مدى مساهمتها في بناء الثقافة المتوسطية.

Abstract:

In this article, we uncover a crucial side to the cultural heritage that was largely unheard. This one concers Maghrebi music in general, and Tunisian music in particular. In this article, we try to shed light on the role that Tunisia played during the era known as ancient history. In particular, we have in mind the Cartagian era in the field of music. We try to captue all its details and specifications mainly in order to track the degree of its contribution in achieving a distinct Mediterranean culture.

المقدمة:

كان القرطاجيون على غرار الشعوب القديمة جميعا يولون للفنون بشكل عام وفن الموسيقى بشكل خاص إهتماماً بارزا، حيث وجدت لهذه الأخيرة حضوراً في القصر والمعبد، كما لم تكن من اختصاص فئة دون أخرى، ففن المرسيقى مثله مثل الفنون الأخرى يعتبر مرآة للحياة تعكس تطور ثقافة المجتمع القرطاجي في بلاد المغرب القديم.

ونقصد بالثقافة الموسيقية، مجموعة النشاطات والممارسات الموسيقية التي ارتبطت سواء بالأبعاد الدينية الطقسية أو الميادين العسكرية أو بالمجالات الفنية التعبيرية، وفي هذا المقال سنعتني بالكيفية التي كانت تؤدي بها تلك الطبوع الموسيقية داخل إطارها الاجتماعي(الديني والدنيوي)و السياسي العسكري، وسنعمل على اقتفاء مناسبات عرضها، ودراسة الآلات المنفذة لها، والفضاءات التي خصصت لسماعها، كما سنتطرق لوظائفها وعملية تواترها وطرق تعلمها وكيفية تقنينها والفرق المخصصة لها.

ومن هنا تكمن أهمية هذه الدراسة لأنها تقدم لنا صورة المجتمع القرطاجي وثقافته الفنية ومعلومات عن موسيقاته واستعراض الآلهة القرطاجية التي تلتحم طقوس عبادتها بالممارسات الموسيقية، كما تقوم الدراسة بدراسة الآلات الموسيقية المستعملة عند القرطاجيين وفرد لكل عائلة من الآلات الإيقاعية والوترية والهوائية دراسة مفصلة حول شكلها وطرق مسكها مع تعقب جذورها ومقارنتها بالآلات التي تم العثور عليها في مناطق الشرق الأوسط والعالم الإغريقي ووصف طرق مسكها والعزف عليها.

ولكي يتيسر لي دراسة هذا الموضوع والإلمام بعناصره حاولت طرح إشكالية رئيسية وهي كالآتي:

كيف كانت صورة الموسيقى القرطاجية في بلاد المغرب القديم؟ وما هي مقوماتها وخصوصياتها؟

دفعتني إشكالية الموضوع والمادة العلمية التي اعتمدتها إلى تقسيم المقال إلى ثلاثة عناصر وهي:

1-الموسيقى في عالم المقدسات القرطاجية

2- الممارسات الموسيقية للكاهنات القرطاجية

3- الآلات الموسيقية القرطاجية وأنواعها

أولا: الموسيقى في عالم المقدسات القرطاجية: سنعالج في هذا العنصر المعبودات القرطاجية وعلاقتها بالموسيقى، والممارسات الموسيقية داخل المجتمع الكهنوتي القرطاجي.

أ)الإلهة عشترت والموسيقى :

ارتبطت صورة "عشترت" بالدلالات الموسيقية في العالم البوني[1]* إذ صورت العديد من الدمى الفخارية سيدة تمسك بدف، وقد أثبت الباحث "جون فيرون" أن تلك الدمى تشخص الآلهة "عشترت" عن طريق مقارنتها بدمى مماثلة في العديد من المناطق الفينيقية، وبتقصيه للملامح "الأيقنوغرافية[2] *" المشكلة لهيئة "عشترت" وملابسها وأبعادها "الميثولوجية[3]*" في الحضارات السامية القديمة[4] .

ويبدو أن الدف الذي كانت تحمله "عشترت" يضم العديد من الدلالات، فبفضل صوته تروض الوحوش والروح والبحر والخيول المتوحشة وحتى

---

[1] العالم البوني أو البونيون (بالاتينية:pūnicus) هم شعب في شمال أفريقيا تعود ثقافتهم وجذورهم العرقية إلى خليط من الأمازيغ والفينيقيين في شمال أفريقيا، أسسوا حضارة رفيعة وامبراطورية كبيرة، كما اشتهروا بالتجارة. انقسموا فيما بعد إلى مجموعات عبر جمهوريات وممالك في شمال أفريقيا، أشهرها جمهورية قرطاجة ومملكة الماسيل الامازيغية، كما استوحوا من الحضارة البونيقية في تأسيسهم لإمبراطوريتهم في إسبانيا....

[2] *الملامح الأيقنوغرافية: يعني الملامح المنقوشة و الوثائق الأيقنوغرافيا هي عبارة عن رسومات ومنحوتات وتماثيل ودمى الفخار ولوحات الفسيفساء والنقائش وكل المحامل التي شخصت عليها مواشيع الموسيقى..أنظر:أنيس المؤدب،الثقافة الموسيقية في تونس خلال الفترة البونية والرومانية،أطروحة دكتوراة،تونس،2008

[3] الميثولوجية أو علم الأساطير: تشير إلى مجموعة من الأساطير الخاصة بالثقافات التي يعتقد أنها صحيحة وخارقة،تستخدم لتفسير الأحداث الطبيعية وشرح الطبيعة والإنسانية الميثولوجية تشير أيضا إلى فرع من العلوم التي تتناول جمع ودراسة وتفسير الأساطير.

[4] جفري براند وآخرون، المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، تر إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني،للثقافة والفنون والآداب، ،عدد173، 1993، ص418

الحجارة[1]، ومن خلال هذه الصورة فهي تتماثل مع بعض الآلهة الإغريقية ذات الصفات الموسيقية مثل:"أرفيوس" وهرمس و "أبو للو" الذين استطاعوا أن يؤثروا بموسيقاهم على العوالم الحيوانية والمادية .

تحيلنا رمزية الدف إلى الإيقاع وحركية الرقص فهو موافق الراقصات، وبالتالي فإن صفة الرقص تلتحم مع "عشترت" لتصير آلهة موسيقية تجمع بين النقر والرقص، ولعل هذا التناغم الإيقاعي والحركي، الذي مثلته تلك الآلهة يقود إلى دلالات الإغراء الجنسي[2]. ومن ثمة الفعل الجنسي المخصب لأشكال الحياة وتحدى الموت، وقد تكون الدمى المشخصة لعازفات الدف والتي عثر عليها بوفرة المدافن البونية بقرطاجة[3] تجسد الاعتقاد بإمكانية مقاومة جمود الموت وسكونه بأجراس أصوات الدفوف[4].

ب) فن الغناء والرقص في طقوس عبادة الإلهة ملقراط: تتجلى من خلال قصة "سفر الملوك الأول"(الفقرة XVII)عدة تفاصيل حول ما جري من غناء ورقص في الطقوس الخاصة بالإله ملقراط ، ومن أهمها الرقص الأعرج وغناء الإستجداء[5].

1) **غناء الإستجداء** : تصف القصص القديمة خاصة التوراتية(سفر الملوك الأول الفقرةXVII) كيفية استجداء الكهنة لربهم وذلك بالمناداة صياحا باسم "ملقراط". ونفترض من خلال ترديدهم المتكرر الجماعي من الصبح إلى منتصف النهار، أنهم ينفذون ذلك بإيقاع متواتر، أي

---

[1] أنيس المؤذب ،المرجع السابق ، ص136

[2] يؤكد الباحث ساينسار أن عشترت كانت رمز الإخصاب والإغراء الجنسي : Maurice Szyncer,Phéniciens et Punique :Leurs Religions, Dictionnaire des mythologies et des religions des sociétés traditionnelles et du monde antique, flammarion, Paris,1981,vol .II,p252

[3] قرطاجة: قرت حدشت (المدينة الجديدة باللغة الفينيقية)في 813/814ق م ،أيام حكم بيغماليون :أنظر أحمد السليماني ،المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في الجزائر ،طبعة خاصة من وزارة المجاهدين،الجزائر،2007،ص:57

[4] أنيس المؤدب ،المرجع السابق ، ص137.

[5]أنيس المؤدب، المرجع السابق،ص140

ينشدون وفي صعود الحركة الإيقاعية تتعالى صرخاتهم فيرقصون في ذهول ويجرحون أنفسهم بالسيوف وبالحراب إلى أن يتخضبوا بدمائهم، كانت ضمن شعائرهم المعهودة[1].

2) **الرقصة العرجاء*[2]:** قدم "هيليودوروس"Héliodore وصفا لهذه الرقصة في روايتة "الأثيوبيات" ،حين تحدث عن تاجر شاب من صور كان مارا في طريقه بدلفس، فشارك في سباق مصارعة بألعاب "بيثيا" وأنتصر فيها، فأقام مأدبة للاحتفال بفوزه شاركه فيها فينيقيون ورقصوا رقصة شكرا للإله. ويصف المؤلف الرقصة التي تصاحبها أنغام المزامير بكونها على إيقاع سريع وتتكون من قفزات وركوع ووثبات تنفذ بالدوران[3]، رغم عدم إلمامنا برمزية الرقصة التي يتحدث عنها "هيليودوروس" إذا كانت موجهة إلى "مقرط" أم إلى غيره من الآلهة، خاصة وأن الفينيقيين عرفوا عبادة إله الرقص "بعل مرقد"[4]، إلا أن عديد المعطيات تؤكد على حضور الرقص كأحد عناصر الطقوس الدينية للفينيقيين[5].

ثانيا:الممارسات الموسيقية للكاهنات القرطاجية: أفرزت الحفريات الأثرية التي قام بها الأب "ديلاتر" ومن بعده "بول غوكلار" في نهاية القرن 19م اكتشاف المقابر القرطاجية، والتي ضمت عدة اكتشافات أثرية ومن ضمنها آلات موسيقية أو بقاياها، ويبدو أن أغلب هذه الآلات الموسيقية تنتمي إلى "الظاهرة الجنائزية" لقبور تؤكد نقاشها أنها قبور كاهنات، فقد استخرج "ديلاتر" من قبر

---

[1] نفسه، ص141.

*[2]وردت الكلمة في النصوص التراثية بمعني القفز والوثب وتتضمن صفة الرقصة العرجاء،لأن المفردة المستعملة ذكرت في موضع آخر بمعنى العرج ، وهي رقصة طقوسية تتمثل في ثني الركبتين كرمز الركوع والسجود للمقدس ينظر :
Francoise Briquel_Chatonnet. Les relations entre les cités de la cote Phénicienne et Les Royaumes d'Israel et de juda.studia phoenicia XII.leuwen 1992.p304.note n6.
Héliodore. « Les éthioques ou Histoire de Théagéne et charicleé livre V,chapitre 17.1, texte tradruit et cité par Françoie BRIQUEL
CHATONNET, Op. cit ,p304

[4] Joseph Michel Chami. De La Phénicie,librairie de liban, Beyrouth .1967.p98

[5] أنيس المؤذب، المرجع السابق ، ص140

الكاهنة "ملقراط"–السابقة للذكر–كوسات من البرونز و ناقوس معدني صغير[1]،وفي قبر آخر ناقوسا معدنيا مربوطا من طرفه بسلسلة[2].

كما كشف في أوتيكا[3] على قبر يحتوي رفاة كاهنة متزينة بحلي وقد دفن معها كوسات متكون من صحنين معدنين مربوطين بسلسلة إلى جانب ناقوس برنزي لازال محتفظا بمطرقته الرنانة [4].

يصف "غوكلار" رفات كاهنة احتواه قبر بوني في هضبة برج الجديد بقرطاجة قائلا: "**كانت ممدودة ورأسها موجها إلى الشرق نحو الباب وقد مسكت بيدها مرآة كبيرة الحجم من برونز وفي يدها اليمنى كوسات ثقيلة من نفس المعدن واختفى معصمها تحت سوار من درر وجعلان[5] ودمى من زجاج** "[6].

وقد أفرزت الحفريات بـ كركوان[7] العثور على عدة كوسات[8]،وعثر أيضا في قبور من الكاهنات على بقايا عظام حيوانية يفترض أنها

[1] ALfred louis delattre. La Nécropole Des Rabs, prétres et prétresses de Carthage, troisiéme année de fouilles, imprimerie paul feron-vrau. paris .1902-1903.p3.

[2] Ibid. p 05.

[3] أوتيكا :أسسها الفينيقيون حوالي ثلاثة قرون قبل قرطاجة أي حوالي نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد على بعد قليل من قرطاجة ،وبقيت وقتا طويلا مستقلة عن قرطاجة ،ثم تحالفت معها في القرن الخامس ،وبقيت على عهدها حتى قبيل الحرب البونيقية الثالثة حيث إستسلمت للرومان: بيومي مهران،المغرب القديم،دار المعرفة الجامعية،1990ص 179

[4] Alfred louis de la ttre, La Nécropole Voisine De Colline De Sainte- Monique. Troisième mois des fouilles, imprimerie paul Feron -Vrau ,paris 1900. P15 , Note n2

[5]– الجعلان : الجعل وهو حشرة من فصيلة الخنافيش أتخذها القرطاجيون والبونيون عامة شكلا لأختامهم ،كما اتخذوا مناجد تتدلى صدورهم ومنهم من كان يفضلها خصوصا تزدان بها خواتمهم وتدور حول محاورها: الطاهر دراع ، العلاقات الحضارية، كتاب أنجز في إطار السنة العلمية بتونس،2009–2010،ص169.

[6] Fantar(M H), Carthage, Les Lettres et Les Arts . 0p cit p107.

[7] كركوان: موقع أثري تونسي يعود للعهد القرطاجي.يقع في معتمدية حمام الغزاز في الوطن القبلي بين قليبية والهوارية .

[8] Fantar(M H),Carthage, les Lettres et Les Arts,op cit ,p107.

استعملت كأنابيب لمزامير، إلى جانب قطع من العاج والعظام الحيوانية استعملت كأفراس لآلات موسيقية وترية[1].

وأهم ما يمكن استخلاصه من خلال تلك الآلات الموسيقية القرطاجية المكتشفة وبقاياها انتماؤها إلى "الظاهرة الجنائزية" لقبور كاهنات فهي تلتحم بالأثاث والأدوات التي ترافق النسوة في مأواهن الأخير.

كما تقبع النواقيس والكوسات المرافقة للرفات القرطاجية ضمن "ظاهرة جنائزية" تشمل على العديد من الحلي وأدوات الزينة والتجميل والتحف، وتوجد معها العديد من التمائم والطلاسم المتجسدة في أشكال حيوانية أو آلهة فرعونية، والبعض الآخر في شكل أقنعة مخيفة من الحجارة أو البلور[2]. ويبدوا أن هذه التمائم في اعتقاد القرطاجيين متضمنة لقوى سحرية خفية قادرة على الحماية وطرد الخطر و الشر عن صاحبها [3].

انطلاقا من هذه الدلالات العقائدية يصح الافتراض، أن النواقيس والكوسات في القبور تلعب دور تعويذات صوتية لها وظائف التمائم والطلاسم فهي على حد قول الأستاذ محمد حسين فنطر: "**الأدوات التي بصوتها تزعج الشياطين فينصرفوا بعيداً عنها**"[4] ويؤكد لنا الباحث "جامس فرازر" أن هناك اعتقاد سائد لدى الشعوب السامية القديمة بكون القوى الشريرة تفر من أصوات النواقيس وقرع الكوسات وحتى من

---

[1] Alfred louis de lattre. La Nécropole Voisine de La Colline de Sainte- Monique, deuxième trimestre des fouilles, avril- juin 1898, imprimrie Paul ferom-vrau. Paris, 1899 ,p15

2 أنيس المؤدب، المرجع السابق، ص149.

[3] حول التمائم والطلاسم البونية راجع :

Pierre cintas. Amulettes Puniques, la rapide. Tunis, 1946

[4] محمد حسين فنطر ،الحرف والصورة في عالم قرطاج،ط1،منشورات أليف،تونس، المرجع السابق ،ص234.

صرير صفائح البرنز أو تصدية قطع الحديد المتصادمة، ولذلك فإن طقوس إبعاد القوى الشريرة تعتمد على تحريك الكهان للنواقيس، التي كانوا يمسكونها بأيديهم أو يربطونها في ملابسهم[1].

تمدنا المكتشفات الأثرية الجنائزية بمعلومات قد تفسر وجود تلك الآلات في القبور النسائية وتكمن أهمها في دمى من الطين المفخور والمشخصة لنساء عازفات، ونجد مجموعة منها كناقرات الدفوف والكوسات ونافخات المزامير المزدوجة وعازفات الكنارات. فقد عثر "ديلاتر" في المدافن اليونانية على ثلاث دمى من الطين المفخور تمثل نافخات مزامير مزدوجة وعلى إبريق معدني في هيئة امرأة تمسك بكوسات وعلى دمية من الطين تمثل عازفة كنارة[2].

إلى جانب تلك المكتشفات وفرت القبور عديد التماثيل الصغيرة والدمى من الطين المفخور على شكل سيدة تنقر الدف أو تمسكه. وقد جمعت الباحثة زهرة الشريف عشرين عينة موجودة بالمتاحف التونسية وفهرستها ضمن بحث أكاديمي يشمل دراسة الدمى الطينية المفخورة البونية[3].

أستنتج من خلال ما تم ذكره في المصادر والمراجع، أن الدف يلتحم بطقوس عبادة "عشترت" وربما يتعدى حدود هذه الآلهة ليشمل إقامة العديد من الطقوس الدينية للآلهة القرطاجية الأخرى تمثل "تانيت" والتي تقترن بـ "عشترت" –كما وضحت سابقا–.

[1] C.f james George frazer, Le folklore dans l'anicen testament, Edition Geuthner, Paris 1931,pp359-378.

[2] أنيس المؤدب، المرجع السابق، ص150

[3] Zohra cherif, Figurines puniques en terre cuite trouveés en Tunisie. Diplome de recherches Approfondies. sous la dir de Ammar MAHJOUBI, faculté Des lettres et sciences Humaines. Tunis 1982. pp123-136

وانطلاقا من المكتشفات التي تم اكتشافها، نلاحظ أن الكاهنات تملك ترسانة كثيرة من الآلات الموسيقية كالكوسات والنواقيس والدفوف والمزامير المزدوجة والكنارات. وبذلك يبدو أن الكاهنات مارسن العزف لإقامة الطقوس الدينية ولتمجيد الآلهة، بل يبدو أن الموسيقى الدينية تعد إحدى اختصاصاتها التي تميزت بها وربما قد فاقت بها الكهان من الرجال، لأن أغلب الآلات الموسيقية التي تم العثور عليها في المدافن تنتمي إلى قبور كاهنات قرطاجية[1].

ثالثا:الآلات الموسيقية القرطاجية وأنواعها:تستند معرفتي المحدودة للآلات الموسيقية البونية بالأساس إلى الوثائق الأثرية "الأيقنوغرافية " وإلى بعض المعلومات الواردة في المصادر والمراجع. وقد قمت بتصنيفها في ثلاث أصناف وهي : الآلات الإيقاعية والآلات الوترية والآلات الهوائية.

1)الآلات الإيقاعية:تشمل ترسانة الأدوات الموسيقية البونية على العديد من الآلات الإيقاعية المصوتة والمجلدات.وتعد الإيقاعية المعدنية منها: كالكوسات والنواقيس، من أهم الآلات التي كشف عن عدة عينات أصلية منها ضمن المكتشفات الأثرية بتونس[2].

أ)**الكوسات** : الكوسات جمع كوس، ويطلق عليها في بعض المراجع العربية اسم الصنج وجمعها صنوج، وقد خبرت استعمال مفردة كوس للالتباس الذي تمثله كلمة صنج في معناها العربي إذ تطلق على الآلات الايقاعية والوترية في نفس الوقت[3].

---

[1] أنيس المؤدب، المرجع السابق، ص151.

[2] نفسه، ص161.

[3] نلاحظ صعوبة تحديد كلمة صنج عند ابن المنظور، لسان العرب،ج2،ص311و 401،ج11،ص 381 و524،ج13،ص244،و357،ج15،ص257،و290.

تؤكد الدلائل الأثرية مرجعيات الكوسات إلى أصول آسيوية، إذ عثر على عينات أصلية من البرنز في الشمال الغربي للهند، تعود إلى ثلاثة ألاف سنة قبل الميلاد[1].

وتفيد جل الدراسات بأن استعمالها انتشر في منطقة آسيا الصغرى منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وتدل الشواهد الأثرية أن المصريين قد تبنوا هذه الآلة خلال فترة الفرعون "تحوتمس الثالث" حوالي (1504-1450) قبل الميلاد[2].

وتؤكد منحوتات جدارية آشورية على استعمال الموسيقيين في العراق القديمة الكوسات صحبة الدفوف لضبط الإيقاع منذ الألف قبل الميلاد[3].

انطلاقا من عملية مقارنة بين مختلف العينات الأصلية من الكوسات البونية التي عثر عليها[4]،نلاحظ أنها تتخذ شكل صحنين قليلي التقبب، وتنتهي بذروتهما حلقات مستديرة، تمكن العازف من إدخال أصابعه وتحلي نقوس غائرة أطراف بعض صحونها[5].

تصنع هذه الآلات من معدن البرنز أو النحاس ، ويصل وزن بعضها إلى 320 غرام ، ولا يتجاوز قطر الصحن عشرة سنتيمترات[6].

---

[1] Françoie BRIQUEL-CHATONNET, Les Relations Entre les Cités de la Cote Phénicienne et les Royaumes d'Israel et de juda. leuwen Faculté van de wijisbegeerete en le terrne .coll.studia phoenicia XII.1992

[2] صبحي أنور رشيد ،الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية ،دار الحرية للطباعة ،مطبعة الجمهورية ،بغداد،1975،ص282.

[3] صبحي أنور رشيد ، تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم،بيروت،المؤسسة التجارية للطباعة والنشر،بيروت ،1970،ص195.

[4] Alfred louis DELATTRE , « La nécropole des Rabs, prétre et prétresse de carthage » ,deuxième année de fouilles. Paris imprimerie, P.Feron-vrau.1902-1903.p16.

[5] Fantar (M.H) 0p.cit 108

[6] Alfred louis DELATTRE. Musée Lavrigere de Saint de Carthage,Ernest leroux. Paris,1899, p207-208.pl.xxx.7 .

ب)**النـــواقيس** : تعتبـر النـواقيس الصـينية البرنزيـة أقـدم العينـات الأصـلية التـي تـم العثـور عليهـا حتـى الآن، وتعـود إلـى مـا قبـل الألفيـة الأولـى للمـيلاد[1]. وعثـر فـي المواقـع الأثريـة الآشـورية والفينيقيـة والمصـرية القديمـة على العديد من النواقيس[2].

تتـوفر بمتحـف قرطاجـة 35 عينـة أصـلية ، وتتميـز بصـغر حجمهـا إذ يصـل ارتفـاع نـاقوس عثـر عليـه فـي مقبـرة بونيـة قـرب الموقـع الأثـري "القدسـية مونيـك" بقرطاجـة أربعـة سـنتيمترات وقطـر فوهتـه اثنـين فاصـل ثمانيـة (2.8) سـنتمتراً[3]، ويمثـل البرنـز والنحـاس مـادتي صـنع هـذه النـواقيس. يملـك النـاقوس البـوني جسـما مخروطيـا مجوفـا مـن الـداخل، تعلـوه حلقـة مسـتديرة سـميكة، ملتحمـة مـع الجسـم، وتمـرر فيهـا حلقـة أرفـع سـمكا تتصـل بهـا سلسـلة معدنيـة، ويحمـل الجسـم المخروطـي فـي جزئـه العلـوي، ثقبـين مـن جـانبين متـوازيين تخترقهمـا عصـية تتـدلى منهـا، وفـي جوف الجسم مطرقة الناقوس[4]. **كما في الشكل رقم 01**

الشكل رقم 01

رسم لناقوس بوني

Alfred louis delattre , Nécropole punique , op cit , p15

[1] وانغ ستي تشو ، الآلات الموسيقية الصينية ، تر ، حسين اسماعيل حسين، وزارة الثقافة لجمهورية الصين الشعبية ،بدون تاريخ ،ص15.

[2] François –René TRANCHEFORT.op.cit .p56

[3] Alfred louis DELTTRE.Neécropole punique.Voisine de sainte –Monique . Deuxième semesttre de fouilles. Imprimerie Paul Feron –Vreau. Paris.1905.p14-15.

[4] أنيس المؤدب،المرجع السابق،ص163.

جـ)الـدفوف: يصـعب تحديـد زمـن ظهـور آلـة الـدف، وتعـود أقـد شخصـياته "الأيقنوغرافيـة " إلـى نهايـة الألفينيـة الثالثـة قبـل المـيلاد، حيـث عثـر فـي العـراق علـى خـتم نقـش عليـه شـخص ينقـر علـى دف إلـى جانـب مجموعـة من الدمى من الطين المفخور تمثل ناقرات دفوف[1].

أمـا بالنسـبة لظهورهـا فـي مصـر واسـتناداً علـى الشـواهد "الإيقنوغرافيـة، فقـد بـدأت فـي عهـد الفرعـون "تحـوتمس الثالـث"[2]، ويـرجح أن المصـريين قـد عرفوهـا مـن الشـعوب القاطنـة بالشـرق الأوسـط اثـر بسـط نفـوذ مصـر الفرعونيـة إلـى تلـك الربـوع. ولعلهـا قـد أدخلـت إلـى مصـر عـن طريـق العموريين[3].

تزخـر الآثـار الفينيقيـة التـي تعـود إلـى القـرن التاسـع قبـل المـيلاد، بتمثـيلات لنـاقرات الـدف، ويبـدو أن الآلـة تضـمنت دلالات دينيـة مقدسـة عند الساميين وقد ذكرت في التوراة في سبعة مواضع باسم "تف"[4].

كمـا يبـدو أن الـدف، قـد ارتـبط رمزيتـه عنـد الفينيقيـين بـالطقوس الجنائزيـة وذلـك بنـاء علـى كثـرة وجـود دمـى مـن الطـين المفخـور تشـخص ناقرات الدف ضمن "الظهرة الجنائزية"[5].

يـذكر الباحـث "فرنسـيس غالبـان" أن اسـتعمالات الـدف عنـد الفينيقيـين لـم يقـف عنـد حـدود اسـتخداماته فـي المعابـد بـل أضـيف إلـى الآلات الوترية والهوائية لتنفيذ الموسيقات الدنيوية[6].

---

[1] صبحي أنور رشيد ، المرجع السابق ،ص96.

[2] نفسه ، ص253.

[3] أنيس المؤدب،المرجع السابق،ص163.

[4] نفسه،ص165.

[5] تفسه،ص165

[6] Francis William GaLpin .The music of the Sumerians and their immediate Successors the Babylonians and assyrians. Strasbourg.Heitz.1955.p09.

تعتبر آلة الدف من أكثر الآلات تمظهراً على المحامل الأثرية القرطاجية وغالبا ما يكون مشخصا بيد دمى صغيرة من الطين المفخور تشكلت على هيئة عازفات يمسكن بدف، كما نجد تجسداً لعازفة دف على صحيفة من العاج.

يظهر الدف القرطاجي في شكل إطار مستدير يعلوه غشاء[1]. يمكننا أن نستنتج من خلال الوثائق "الأيقنوغرافية " وجود نوعين من الدفوف المستعملة:

الدف الصغير: يتمثل في قرص مستدير صغير الحجم لا يتجاوز قطر دائرته الشبر والنصف مقارنة بيد الشخصيات العازفة[2].

الدف الكبير: يتمثل في قرص مستدير، يبلغ قطره شبرين أو أكثر بقليل، وهو في جل تمثيلاته في حالة حركية النقر.

يتراءى غشاء الدفوف القرطاجية من خلال بعض الوثائق "الأيقنوغرافية " مطليا باللون الأحمر، ونرجح أن هذا التلوين يعكس حقيقة ما نقله الفنان من الواقع، إذ أن طلاء غشاء الدف من التقنيات التي نجدها رائجة عند الإغريق، ويبدو أن طريقة التوقيع عليه تتم بالأكف والأصابع ولا ينقر عليه باستعمال مضارب[3]. **ينظر الأشكال رقم 02و03و04**

[1] أنيس المؤدب،المرجع السابق،ص166

[2] أنيس المؤدب المرجع السابق، ،ص166

[3] نفسه،ص170

الشكل رقم02

دمية من الطين المفخور تشخص ناقرة دف ارتفاعها 35.5 سنتيمتراً عثر عليها بقبر بوني بقرطاجة تعود إلى القرن السابع ق.م

أنيس المؤدب ، المرجع السابق ،ص166

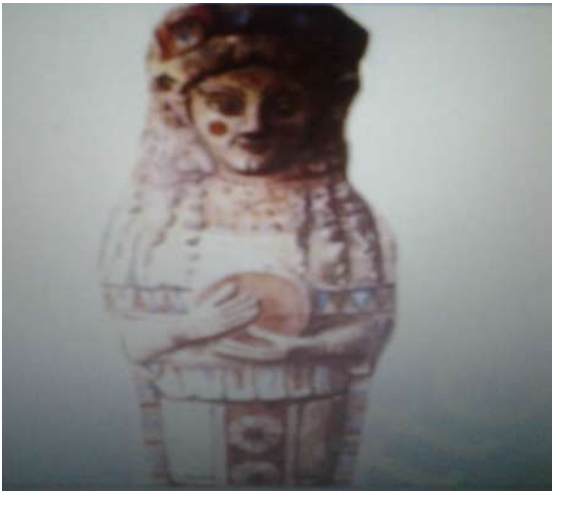

الشكل رقم 03

دمية من طين مفخور تشخص ناقرة دف إرتفاعها 33 سنتمتراً عثر عليها بقبر بوني بقرطاجة تعود إلى القرن السادس ق.م

Fantar (M.H) ,Carthage les tettres et les arts, op cit ,p103

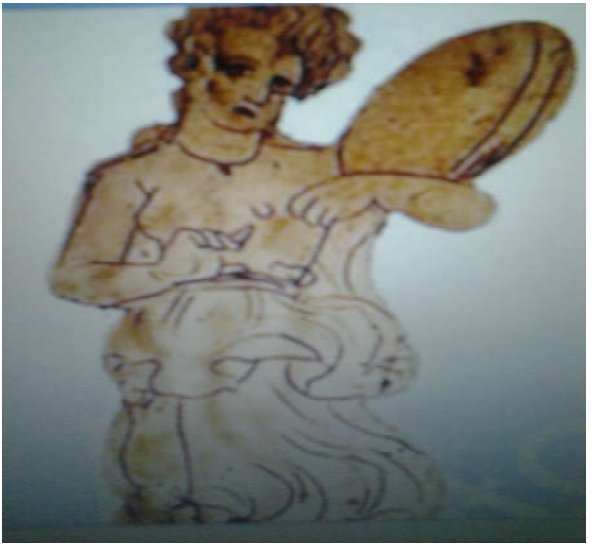

الشكل رقم 04

صورة من عاج تمثل عازفة على الدف الكبير

محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة في عالم قرطاج ، المرجع السابق ، ص274

2)الآلات الوتريـــة: تعـد الكنـارات النمـوذج الـوتري الوحيـد الـذي تشخصـه التمثـيلات "الأيقنوغرافيـة" البونيـة وهـو مـا يـدفعنا إلـى التسـاؤل عـن سـبب غيـاب تمثيـل الجنـك والـذي يعـد مـن الآلات الموسـيقية الفينيقيـة، إذ تـذكر المصـادر الهلنيسـتية[1] امـتلاك الفينيقيـين لجنـك يحبسـه العـازف بكلتـا يديـه ويبلغ عدد أوتاره أثنى عشر وتراً[2].

وقـد اصـطلح علـى تسـميته "نبـل" . كمـا أن هـذا المعطـى لـه مـا يوازيـه فـي التـوراة إذ وردت كلمـة "نبـل" ضـمن ترسـانة الآلات الموسـيقية

[1] المصادر الهلنيستية:تعود للعصر الهلينيستي وهو فترة في التاريخ القديم كانت فيها الثقافة اليونانية تزخر بالكثير من مظاهر الحضارة في ذلك الحين ، وقد بدأت بوفاة الإسكندر الأكبر عام 323ق.م، استمرت حوالي 200 سنة في اليونان وحوالي 300سنة في الشرق الأوسط ، ويستخدم مصطلح الهلنيستية للتمييز هذه الفترة عن الفترة الهلينية وهي فترة الإغريقيين القدماء التي اعتبرت أوج عبقرية وعظمة الفكر والعلوم الفلسلسفة الإغريقية في ظل الإمبراطورية الأثينية.

[2] Théodore Reinach. « lyra » Dictionnaire,Des Antiques, tome III2eme partie,p.1448.

المستعملة عند العبريين[1]. وهو ما يؤكد انتشار استعمال الجنك في فينيقيا منذ الألف الأول قبل الميلاد[2].

يرى الباحثون ومنهم فرانسوا، أن الفينيقيين عملوا على تطوير الجنك، وأضافوا إلى هيكله ذراعا تربط بين المحمل والصندوق المصوت، كما ساهموا في إدخاله إلى البلاد الإغريقية[3] والرومانية[4].

وفي مقابل غياب تمثيل آلة الجنك عند البونيين فإن الكنارة تعد من أهم الآلات الوترية التي شخصت على رصيد هام من الوثائق "الأيقنوغرافية" البونية التي عثر عليها بقرطاجة وسوسة[5].

أ)الكنارة البونية : إن وجود مشاهد "أيقنوغرافية لآلة الكنارة على المحامل الأثرية القرطاجية بتونس (الحالية) دليل على رواج استعمال تلك الآلة التي يرجح أنها من الآلات التي ورثها البونيون عن الفينيقيين، الذين ساهموا في نشرها في مناطق نفوذهم المتوسطية، ولكننا نعتقد استنادا إلى رواية لـ "هيرودوت" أن الآلة لها تاريخ قديم يتجاوز حلول الفينيقيين بالبلاد إذ يشير المؤرخ الإغريقي إلى استعمال اللوبيين لقرون الوعول والغزلان في صناعة رقبتي الكنارة، بينما يذكر في نفس السياق أن الفينيقيين كانوا يستغلون القرون لصناعة المقبض[6].

---

[1] أنيس المؤدب، المرجع السابق، ص 170

[2] Johen STAINER, Music of the Bible with Some account of the develpment of modern musical instruments from ancient types, edition ,Da capo press,London/New York,1970.p28.

[3] François – René TRAN chefort .0p.cit.p140.

[4] Christophe UENDRIES, Instruments à cordes musiciens dans l'Empire Romain, sous la dir .catherine HOMO-LECHNER christian RAULT, France. Fondation Royaunont CERIMM.1999.p115-116.

[5] محمد حسين فنط ، الحرف والصورة في عالم قرطاج، ط1،منشورات أليف،تونس،1999، ص275-276.

[6]- Herodot.Histoires .livre .IV.chapitre .192 texte numérisé in.http.//2terres.hautesavoie.net/livreseg/herodote text/herodot4.htm.

نستنتج من خلال ما ورد أن هناك اختلاف الكنارة اللوبية ونظيرتها الفينيقية إذ أن اللوبيين كانوا يمتلكون مثلها ولكن بخصوصيات متميزة عن نظيرتها الفينيقية في القرن الخامس قبل الميلاد، ويسمح لنا هذا المعطى التعرف على النوع البوني الذي كان نتيجة تلاقح الكنارة الفينيقية بالبونية. ومن خلال الوثائق" الأيقنوغرافية "نلاحظ وجود نوعين من الكنارة القرطاجية إحداهما مستطيلة والأخرى مقوسة .

الكنارة المستطيلة : تتكون الآلة من صندوق مصوت مستطيل الشكل تمتد منه رقبتان متناظرتان يشدهما مقبض تنطلق منه سبعة أوتار متساوية الأطوال تمتد إلى نهاية الصندوق[1] .

ويبدوا أن الخشب هو مادة صنع الكنارة المستطيل، كما نرجح أن الصندوق المصوت مقبب للزيادة في تضخيم الأصوات المترددة فيه[2].

رغم إحجام الوثائق "الأيقنوغرافية" عن تقديم معلومات إضافية عن هذه الآلة فإننا نفترض استناداً على مثيلاتها الإغريقية المعاصرة لها أنها تتضمن على فرس تمر فوقه الأوتار وعلى مشط يعمل على شد الأوتار[3].

الكنارة المقوسة: تتكون من صندوق مصوت في شكل قوس تمتد منه رقبتان على هيئة رؤوس بجعة ويعلوهما مقبض تمتد من خمسة أوتار ويبدوا أنهما تلفان بالمقبض عن طريق شرائط[4].

[1] Zohra cherif .0p .cit.p31.

[2] أنيس مؤدب،المرجع السابق،ص175.

[3] أنيس المؤدب، المرجع السابق، ص175.

[4] نفسه، ص177

نعاين نموذج الكنارة المقوسة من خلال بعض الكنارات المشخصة على رسوم لقبر تعود إلى الفترة المينوية بجزيرة قبرص،[1] كما تكرر هذه النماذج في بعض الوثائق "الأيقنوغرافية" الإغريقية التي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد[2]. ويتفق العديد من الموسيقيين على تسميتها بـ :"الفورميكس" phormix [3].

و أهم ما يميز الكنارة المقوسة رقبتها التي تتخذ شكل رؤوس بجعات كما نلاحظ أن أوتارها تلف على المقبض بأسوار من الجلود.[4]

ينظر الشكل رقم 05

الشكل رقم 05

صحيفة من عاج عثر عليها بقرطاجة تعود إلى نهاية القرن الرابع ق.م تمثل شاباً متكئا يعزف على كنارة مقوسة أنيس المؤدب،المرجع السابق،ص177

[1] Liavas Lambros et autres,Musique de La Mer Egeé, Ministère crée de la culture – Ministére de l'Egée Athénes.1988. p73.

[2] أنيس المؤدب،المرجع السابق،ص178.

[3] Cf Jacques CHAILLEY , La musique grecque antique, Paris, les Belles lettres, 1979 ,p67.

[4] - أنيس المؤدب، المرجع السابق ، ص178.

3)الآلات الهوائيـة(المزمـار المـزدوج البـوني):تعتبـر آلـة المزمـار المـزدوج مـن أهـم الآلات الهوائيـة التـي تجـدها مجسـدة علـى الوثـائق الأيقنوغرافيـة البونيـة[1]. وتفيـدنا وفـرة المشـاهد "الأيقنوغرافيـة" القرطاجيـة التـي تمثـل آلـة المزمـار المـزدوج انتشـار اسـتعمالها بتـونس خـلال الفتـرة البونيـة[2]. فقـد بـرزت صـورة عـازف مزمـار مـزدوج علـى صـفيحة مـن العـاج، ووفـرت لنـا العديـد مـن الـدمى المصـنوع مـن الطـين المفخـور تماثيـل لعازفـات المزمـار المزدوج[3].

يتكـون المزمـار المـزدوج البـوني مـن أنبـوبين منفصـلين، ويختلـف شـكل الأنبـوبين مـن خـلال الأمثلـة "الأيقنوغرافيـة" (المتـوفرة)، فيكـون أحـدهما أضـخم مـن نظيـره. ونسـتطيع تقـدير أطـوال الأنابيـب مقارنـة مـع حجـم الشخصـيات العازفـة بنحـو 50 إلـى 60 سـنتيمترا بالنسـبة لأطولهمـا وحوالي 40 إلى 50 سنتمترا للأقصر[4].

يبـدو أن المزاميـر المزدوجـة، كانـت تسـتغل عنـد البـونيين فـي العديـد مـن الأغـراض وخاصـة الدينيـة منهـا، إذ تـذكر المصـادر الأدبيـة الإغريقيـة مصـاحبة هـذه الآلـة لعمليـات تقـديم القـرابين عنـد البـونيين[5].**ينظـر الشكل رقم 06**

[1] أنيس المؤدب،المرجع السابق،ص182

[2] نفسه، ص183

[3] Zohra cherif.0p.cit.p187-192.

[4] أنيس المؤدب،المرجع السابق،ص183

[5] François DECRET.Carthage ou l'empire de la mer. Editions du seuil. Paris.1977.p143

الشكل رقم 06

دمية من الطين المفخور عثر عليها بقرطاجة تعود إلى القرن الرابع ق.م تشخص عازفة مزمار مزدوج.

Fantar(M.H), carthage la cité punique, op cit ,p102

خاتمة:

وفي نهاية هذا المقال أستنتج مجموعة من النقاط أوردها كالآتي:

1-إن أهم الآلهة القرطاجية ومنها "عشترت" و"ملقرط"،ارتبطت ارتباطا وثيقا بالنشاط الموسيقي حيث كان الرقص والغناء يلتحمهم لتقديسهم، وللتقرب من الثنائي "بعل حمون"و"تانيت"فقد رافقت الموسيقى مراسم تقديم النذور والأضاحي،وبوجود طبقة من السدنة الموسيقيين التي تدخل ضمن المجتمع الكهنوتي الذي كان يتولى تسير الشؤون الدينية. أما عن الأنماط الموسيقية فقد وجدت موسيقى دينية تعرف بـ"المزرح"،تقام على شكل وليمة أو مأدبة تحت إشراف الكهنة.

2- دخل فن الموسيقى عند القرطاجيين حدودهم الدينية وحتى نشاطاتهم الدنيوية، وفي المجال العسكري خاصة فالبوقيين الذين يمثلون عناصر أساسية

في تركيبة الجيوش البرية والبحرية القرطاجية استغلوا الموسيقى في إرسال الإشارات الصوتية.

3- عرفت قرطاجة عدد كثير ومتنوع من الآلات الموسيقية المستعملة في حفلاتهم، وقد احتوت على الكوسات والنواقيس والدفوف المستديرة و الكنارات المختلفة الأشكال والأحجام والمزامير المزدوجة تحملها عازفات للعزف عليها في العروض الموسيقية القرطاجية.

4-أعتبرت الثقافة الموسيقية في تونس خلال العهد القرطاجي أهم وسيلة للتسلية، بل ويبدوا أن القرطاجيين من خلال ما خلفوه من شواهد قد أكدوا على ضرورة فن الموسيقى وتعابيرها كرمز لعلاقتهم بالحياة الدنيوية وأبعادها الجمالية والحسية.

المصادر بالعربية:

1- ابن منظور(محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري)،لسان العرب، ط1، ج1، ج2،ج3،ج4،دار صادر ،بيروت.

المصادر بالأجنبية:

1-Héliodore , Les Ethioque ou Histoire de théagéne et chariclée ,livre V,chapitre 17,texte traduit et cité par françoi Briquiel chatonnet.

قائمة المراجع العربية:

1-جفري براند وآخرون، المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، تر إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب سلسلة عالم المعرفة عدد173،1993.

2-صبحي أنور رشيد، الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية، دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية بغداد، 1975

3-صبحي أنور رشيد، تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم، بيروت، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت ،1970.

4-وانغ ستي تشو، الآلات الموسيقية الصينية ،تر ،حسين اسماعيل حسين، وزارة الثقافة لجمهورية الصين الشعبية ،بدون تاريخ.

5-أنيس المؤدب،الثقافة الموسيقية في تونس خلال الفترة البونية والرومانية،مذكرة دكتوراه في علوم التراث غير منشورة،جامعة تونس،تونس،2008.

6- ذراع الطاهر،العلاقات الحضارية القرطاجية النوميدية(814-146ق م)،كتاب أنجز في إطار السنة العلمية بتونس،(2009-2010).

6- فنطر محمد حسين،الحرف و الصورة في عالم قرطاج،ط1،منشورات أليفتونس،1999.

المراجع باللغة الأجنبية:

1-Szncer(M),L'emploi des termes(phénicien,punique,Néo-punique)problémes de methodologie,in acts of IInd congress hamito-semitic,1976.

2-Françoise(B.Ch), Les Relation entre les cités de la côte phénicienne et les Royaumes d'Israel et de juda, studia phoenicia XII, leuwen,1992.

3-Joseph(M.Ch), De la phénicie,librairie de liban,beyrouth,1967.

4-Alfred louis delattre , La nécropole voine de colline de sainte-monique ,troisième mois des fouilles,imprimerie Paul feron-vrau, Paris, not2,1900 .

5-Fantar(M.H),Carthage approche d'une civilisation, T2, Ed, Alif, Tunisie,1970.

6-Pierre(C),Amulettes punique, les presses de l'imprimerie rapide. Tunis,1946.

7-James(G F),Le Folklore dans l'ancien testament. Edition Geuthner,paris ,1931.

8-Zohra cherif, « Le costume de la femme à carthage à partir des figurines en terre cuite africa »nx, Tunis,1988.

9-Alfred louis delattre , La nécropole voine de colline de sainte-monique ,troisième mois des fouilles,imprimerie paul feron-vrau, Paris, not2,1900 .

10-Theodor Herzl Gaster,The Egyptian « Story of Astrete »and the ugaritic poem of 4,1952./baal,bibliotheca oriental,london,Tom IX,n3

11-Johen(S),Music of the bible withe some account of the modern musical instruments from ancient types,edition revised dy fancis william galpin,New yourk,Da capo,press,1970.